

قبرص، انها دولة تماس بين اليونان وتركيا، بين اوروبا والاسلام، وربما بين الشرق والغرب.

تصوّر انه، في كل مرة يعود التنافس التقليدي بين مصر واثيوبيا الى الواجهة، تستولي اثيوبيا على مياه النيل لنفسها او يرسل وريث محمد علي حملة جديدة نحو الجنوب لضرب عرش اديس ابابا الامهري. تصور ان مصر الموالية حالياً للغرب تجد ضرورة في مواجهة اثيوبيا التي اصبحت امتداداً مهماً للنفوذ السوفياتي في افريقيا. تصوّر ان الطرفين الفقيرين يضطمان في حروب مكلفة ومضنية ودون نتيجة بالنظر لخطورة وصعوبة اللوجستيات والنقل والمتابعة. لا! لن يحصل هذا كل يوم. لأن السودان هناك. سوف يتقاتل السودانيون لأسباب داخلية يعرفونها ولأسباب عظيمة قديمة تتجاوز حدود السودان، على طولها. مسكين السودان: انه خط تماس، انه دولة تماس بين الاسلام ومزيج من المسيحية والوثنية، بين الغرب والشرق، بين العنصر الابيض والعنصر الاسود، بين عرش القاهرة وعرش هيلاسيلاسي!

قبل قبرص والسودان، عاشت بولندا مآسي متكررة، مآسي الدولة - التماس. تقاتل البولونيون في حروب اهلية مريرة وحروب اكبر منهم واعظم من اهتماماتهم وهمومهم، وأخطر من تطلعاتهم واوهامهم. مسكينة بولندا، خلال قرون وقرون، وحروب وحروب، كانت هي الدولة - التماس المعثرة الحظ: بين روسيا القيصرية وروسيا الملكية، بين نابوليون والقبصر، بين النازية والشبوعية، بين الديمقراطية والاستبداد مسكينة بولونيا فعلاً لأنها تيمتت مراراً، وهربت الى الفودكا المسكينة مراراً بعيداً عن دور يلغي الاوطان ويرهق الشعوب، دور الدولة - التماس. لذا، فليس من العجب بشيء ان تكون اجمل مسرحية كتبها بولوني رأيتها في حياتي تلك التي اخرجها في بيروت ايام العز، المخرج الجزائري عبد القادر عيساوي وعنوانها: «البيت - الحدود». ماذا تعرف عن افغانستان؟ سوفيات ومجاهدون. شرق وغرب. نابالم وب - ٧. هيلوكبتر ومضاد. افغانستان هي الدولة - التماس الاسيوية التقليدية بقدر ما بولندا مثلتها في اوروبا. مع مطلع القرن التاسع عشر، الغت بريطانيا اتفاقياتها السلمية مع افغانستان ووقعت بدلا عنها اتفاقيتي ١٨٠٩ و ١٨١٤ مع ايران. ضد من؟ ضد روسيا القيصرية بما هي قوة اسيوية. بريطانيا كانت تريد افغانستان قوية بصورة كافية لمنع الشاه من الاستيلاء على ميراث، وضعيفة بشكل كاف لكي يستطيع الشيخ الموالمون

مأساة

الدول - التماس

تصوّر أن تركيا واليونان مضطرتان، في كل مرة تتوتر فيها علاقتها الثنائية الى خوض حرب ضروس من جزيرة الى أخرى في طول بحر أيجه وعرضه وأن آلاف القتلى يسقطون نتيجة حرب يخوضها عضو في حلف شمال الاطلسي ضد الآخر، وان الاتحاد السوفياتي يرى نفسه قادراً بل مضطراً على التدخل، وان شرق المتوسط يشتعل من كل اطرافه. لا! لن يحصل هذا الا في الحوادث الجسيمة الاستثنائية، مرة في القرن او مرة كل قرنين. ما سوف يحصل ان الخط الفاصل بين الاحياء التركية والاحياء اليونانية في قبرص سوف يشتعل او ان الجيش اليوناني سوف يتدخل في تلك الجزيرة، او الجيش التركي او كلاهما سوف يتقاتل القبارصة لأسباب فيهم ولأسباب اهم وأخطر واوسع من افق جزيرتهم الضيق. مسكينة

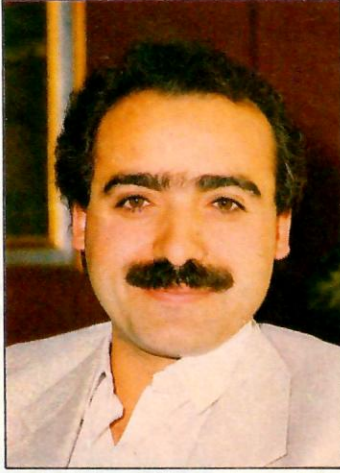
اخرى أكبر منهم، وأعظم من حدود بلدهم الصغير، وأخطر من مطالب طائفة وطموحات حزب وتفاهة زعيم. ولا مقدرة لهم على غير ذلك. سوف يتقاتل اللبنانيون كثيراً الا اذا إنسحبوا من اللعبة. ولكن في اعماق نفوس بعض اللبنانيين تلذذ بتلك اللعبة الجهنمية وشعور بأن أفضل أسباب الموت، هو المرض بجنون العظمة. وحده التواضع طريق الخلاص! ◇

والصيني - السوفياتي، ناهيك عن التنافس السوفياتي - الاميركي، فهي على العكس سيئة الحظ اذ ان اختيارها مازال حتى اليوم بين الهيمنة الفيتنامية المطلقة ومجموعة من السفاحين مصاصي الدماء، قتلة الملايين تؤيدها الصين وواشنطن. . الحظ يا صديقي وسوء الطالع!

□

أكتب عن فرصونيا، وبيروت تأكل من لحمي .

بقلم الدكتور غسان سلامه



لبناني. دكتور في الآداب وفي العلوم السياسية، له عدة مؤلفات. استاذ في قسم العلوم السياسية في الجامعة الاميركية في بيروت.

**سيء حظ لبنان
لأنه دولة تماس ممتازة
بين العرب والعرب،
وبين العرب واسرائيل،
بين الشرق
والغرب...**

المح فيينا وبيروت تقض مضجعي . اسلم على كابول ومن فيها وبيروت تلاحقني ان كنت بين ذراعيها او خرجت . بيروت الملقوفة بخطوط التماس، المشلعة بين الف قوة ودور .

تصور ان العرب واسرائيل يخوضون حرباً كل سنة! تصور انهم يتحاربون في كل مرة يبحثون عن السلام . طبعاً لا! فلبنان دولة - تماس ممتازة بين العرب والعرب، بين العرب واسرائيل، بين الشرق والغرب في معنيين الحضاري منها والايديولوجي . لبنان دولة تماس بين الوطن والوظيفة، بين الشعب والشعب، بين الفرد والجماعة .

سيء حظ لبنان لانه دولة تماس ساخنة وستبقى ساخنة طالما هناك كلام عن مشاريع حل . سوف يتقاتل اللبنانيون لاسباب داخلية يعرفونها ولأسباب

التغلب عليها في اي لحظة . لا القيصر اخذ افغانستان ولا الشاه ولا امراطورة الهند المجيدة، ملكة بريطانيا المعظمة، بقيت افغانستان ذاتها، لصعوبة مساربها، وعمق وديانها وارتفاع جبالها وشهامة رجالها . بقيت ذاتها ولكنها اصبحت دولة تماس بين كل هذه الاطراف، وخصوصاً بين دولتين اوروبيتين عظيميتين تطمحان للسيطرة على آسيا: بريطانيا وروسيا . وتمضي الايام وافغانستان دولة - تماس وانما دولة مطمئنة حتى تنزلت روسيا السوفياتية من أحد مسارها الشمالية . وتقع في فخ اشعال خط التماس بعدما اعتبرته راكداً دون رجعة . ولكن الغرب استفاد من الانزلاق السوفياتي ولم يزل . لن ينتصر المجاهدون يوماً على الارجح . سوف يقاتلون الى ما لا نهاية، ويتقاتلون حرب اهلية ودولية في الآن نفسه، هي شعار دول التماس التي تعكّر مطامع من هو اعظم منها . مسكينة افغانستان!

□

فلنقف عند هذا الحد من التلوع ونقول: دول التماس يمكن لها ايضاً ان تعيش بأمان . بأمان؟ نعم . النمسا بلد سعيد الحظ: اصبح دولة - تماس بعد تاريخ امبراطوري طويل . ولكن السوفيات في رسالة شهيرة ذات يوم غاثم من سنة ١٩٥٥، قرروا أن الاستيلاء عليها صعب، وانهم بحاجة قريباً الى التدخل في جارتها الهنغارية وارسال جنودهم ودباباتهم الى بودابست . حُيدت النمسا، وعاشت في امان هش ولكن في امان . حيدت مؤقتاً لأنه ليس من حياد دائم مهما قال القانونيون وادعوا . فهذه بلجيكا، دولة تماس اخرى في القرن التاسع عشر، تم تحييدها وتم ايضاً خرق ذلك الحياد . لكن النمسا هادئة، والدانوب هادئ وسالزبورغ تنعم بمهرجانها السنوي المخصص لموزار، وفيينا تستقبل وزراء الأوبك من اصحاب الملايين، واليهود السوفيات من اصحاب الحظوظ . وفي ضاحيتها، على طريق المطار الضيقة، ترتفع بنايات بيضاء جديدة لاستقبال منظمات دولية اخرى . فهذه النمسا تنافس اليوم سويسرا في دور عالمي مؤسسياتي، تريح منه بضع دولارات غالية ودورا عالمياً ما . هذه دولة تماس سعيدة . . . ولو مؤقتاً! هذه دولة تماس سمحت لنفسها باختيار مستشار يهودي يؤيد قيام دولة فلسطينية .

هناك دول تماس يمكن الغاء دورها . مثل بلجيكا التي غاب دورها ذلك مع انخفاض حدة الخلاف الألماني - الفرنسي . اما كمبوديا، ضحية التنافس التايلاندي - الفيتنامي، والصيني - الفيتنامي -